فقال النّاس : يا أباالحسن الله الله ، بحقّ صاحب القبر ، فخلّى عنه ، ثمّ التفت إلى عمر فأخذ بتلابيبه وقال : يابن صهّاك والله لولا عهد من رسول الله وكتاب من الله سبق لعلمت أيّنا أضعف ناصراً وأقلّ عدداً ، ودخل منزله .

رسالة لأميرالمؤمنين عليه السلام إلى أبي بكر لمّا بلغه عنه كلام بعد منع الزّهراء عليها السلام فدك

«شَقّوا متلاطمات أمواج الفتن بحيازيم سفن النّجاة ، وحطّوا تيجان أهل الفخر بجميع أهل الغدر ، واستضاؤا بنور الأنوار ، واقتسموا مواريث الطاهرات الأبرار ، واحتقبوا[1] ثقل الأوزار ، بغصبهم نحلة النبيّ المختار ، فكأنّي بكم تتردّدون في العَمى كما يتردّد البعير في الطاحونة ، أما والله لو أُذن لي بما ليس لكم به علم لحصدت رؤوسكم عن أجسادكم كحبّ الحصيد ، بقواضب[2] من حديد ، ولقلعت من جماجم شجعانكم ما أقرح به آماقكم[3] ، وأوحش به محالّكم ، فإنّي ـ مذ عرفت ـ : مُردي العساكر[4] ، ومفني الجحافل[5] ، ومبيد خضرائكم ، ومخمل ضوضائكم[6] ، وجزّار الدوارين[7] إذ أنتم في بيوتكم معتكفون ، وإنّي لصاحبكم بالأمس ، لعمر أبي وأُمّي لن تحبّوا أن يكون فينا الخلافة والنبوّة ، وأنتم تذكرون أحقاد بدر وثارات أُحد ، أما والله لو قلت ما سبق من الله فيكم لتداخلت أضلاعكم في أجوافكم كتداخل أسنان دوّارة الرحى ، فإن نطقتُ يقولون حسداً ، وإن سكتُّ فيقال ابن أبي طالب جزع من الموت ، هيهات هيهات ! الساعة يقال لي هذا ؟! وأنا المُميت المائت ، وخوّاض المنايا في جوف ليل حالك ، حامل السيفين الثقيلين ، والرمحين الطويلين ، ومُنكّس الرايات في غطامط الغمرات[8] ، ومفرّج الكربات عن وجه خير البريّات ،

---

(١) احتقبوا : حملوا على ظهورهم .

(٢) القواضب : جمع القاضب ، يقال سيف قاضب أي قاطع .

(٣) مؤق العين ـ بهمزة ساكنة ـ : مؤخّرها ، وجمع المؤق : آماق ـ بسكون الميم ـ مثل قفل وأقفال ، ويجوز القلب فيقال : آماق .

(٤) الردىٰ : الهلاك ، أرداكم : أهلككم .

(٥) الجحفلُ : الجيش الكثير .

(٦) الضوضاء : أصوات الناس .

(٧) الجزّار ـ بالتشديد ـ : اسم فاعل من الجزر وهو بمعنىٰ القطع والنحر . قال المجلسي رحمه الله : لعلّ المراد بالدّوارين : الدهور والأزمنة .

(٨) غطامط : عظيم الأمواج ، والغمرات جمع غمرة وهي : الشدّة ، وغمرة الشيء : شدّته ومزدحمه .

almawaddah.be

أيهنوا فوالله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل إلى محالب أُمّه ، هبلتكم الهوابل[١] ، لو بحت بما أنزل الله سبحانه في كتابه فيكم لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة[٢] ، ولخرجتم من بيوتكم هاربين ، وعلى وجوهكم هائمين ، ولكنّي أهون وجدي حتّى ألقى ربّي ، بيد جذّاء صفراء من لذّاتكم ، خلواً من طحناتكم ، فما مثل دنياكم عندي إلّا كمثل غيم علا فاستعلا ، ثمّ استغلظ فاستوى ، ثمّ تمزّق فانجلا ، رويداً فعن قليل ينجلي لكم القسطل[٣] وتجنون ثمر فعلكم مرّا ، وتحصدون غرس أيديكم ذعافاً ممقرا[٤] ، وسمّاً قاتلاً ، وكفى بالله حكيماً ، وبرسول الله خصيما ، وبالقيامة موقفا ، فلا أبعد الله فيها سواكم ، ولا أتعس فيها غيركم ، والسّلام على من اتّبع الهدى» .

فلمّا أن قرأ أبوبكر الكتاب رعب من ذلك رعباً شديداً وقال : يا سبحان الله ما أجرأه عَلَيّ وأنكله عن غيري .

معاشر المهاجرين والأنصار تعلمون أنّي شاورتكم في ضياع فدك بعد رسول الله ﷺ ، فقلتم : أنّ الأنبياء لا يورثون ، وأنّ هذه الأموال يجب أن تضاف إلى مال الفئ ، وتصرف في ثمن الكراع والسلاح ، وأبوباب الجهاد ، ومصالح الثغور فأمضينا رأيكم ، ولم يُمضِهِ من يدّعيه ، وهو ذا يبرق وعيداً ، ويرعد تهديداً ، إيلاءً بحقّ محمّد ﷺ أن يمضحها[٥] دماً ذعافاً ، والله لقد استقلت منها فلم أقل ، وأستعزلتها عن نفسي فلم أعزل ، كلّ ذلك كراهيّة منّي لابن أبي طالب ، وهرباً من نزاعه ، مالي ولابن أبي طالب ؟ أهل نازعه أحد ففلج[٦] عليه ؟

فقال له عمر : أبيت أن تقول إلّا هكذا ؟ فأنت ابن مَن لم يكن مقداماً في الحروب ولا سخيّاً في الجدوب ، سبحان الله ما أهلع[٧] فؤادك ، وأصغر نفسك ، قد صفيت لك سجالاً[٨] لتشربها فأبيت إلّا أن تظمأ كظمائك ، وأنخت لك رقاب العرب ، وثبت لك الإشارة والتدبير ، ولولا ذلك لكان ابن

---

(١) هبلت فلاناً أُمّه : ثكله فهي هابل .

(٢) الأرشية : جمع رشاء وهو حبل الدلو ، والطوى : السقاء الّذي يجعلون فيها الماء .

(٣) القسطل : الغبار الساطع في الحرب .

(٤) الذعاف : السمّ الّذي يقتل من ساعته ، والممقر : المر .

(٥) وفي نسخة يمضخها .

(٦) فلج عليه : فاز .

(٧) الهلع : الجبن عند اللقاء .

(٨) السجال جمع سجل وهو دلو عظيم فيه ماء .

almawaddah.be

أبي طالب قد صيّر عظامك رميماً ، فاحمد الله على ما قد وهب لك منّي ، واشكره على ذلك فإنّه من رقى منبر رسول الله صلى الله عليه وآله كان حقيقاً عليه أن يحدث لله شكراً ، وهذا عليّ بن أبي طالب الصخرة الصمّاء الّتي لا ينفجر ماءها إلّا بعد كسرها ، والحيّة الرقشاء الّتي لا تجيب إلّا بالرقى ، والشجرة المرّة الّتي لو طليت بالعسل لم تنبت إلّا مرّا ، قتل سادات قريش فأبادهم ، وألزم آخرهم العار ففضحهم ، فطب عن نفسك نفساً ، ولا تغرّنك صواعقه ، ولا يهولنّك رواعده وبوارقه ، فإنّي أسدّ بابه قبل أن يسدّ بابك .

فقال له أبوبكر : ناشدتك الله يا عمر لما أن تركتني من أغاليطك وترّبيدك ، فوالله لو همّ ابن أبي طالب بقتلي وقتلك لقتلنا بشماله دون يمينه ، وما ينجينا منه إلّا إحدى ثلاث خصال : إحداها أنّه وحيد ولا ناصر له ، والثانية أنّه ينتهج فينا وصيّة رسول الله ، والثالثة أنّه ما من هذه القبائل أحد إلّا وهو يتخضّمه[1] كتخضّم الثنية الإبل أوان الربيع ، فتعلم لولا ذلك لرجع الأمر إليه وإن كنّا له كارهين ، أمّا إنّ هذه الدّنيا أهون إليه من لقاء أحدنا للموت ، أنسيت له يوم أُحد ؟ وقد فررنا بأجمعنا ، وصعدنا الجبل ، وقد أحاطت به ملوك القوم ، وصناديدهم موقنين بقتله ، لا يجد محيصاً للخروج من أوساطهم ، فلمّا أن سدّد عليه القوم رماحهم نكّس نفسه عن دابّته حتّى جاوزه طعان القوم ، ثمّ قام قائماً في ركابيه وقد طرّق عن سرجه وهو يقول : «يا الله يا الله يا جبرئيل يا جبرئيل يا محمّد يا محمّد النجاة النجاة» ثمّ عمد إلى رئيس القوم فضربه ضربة على أُمّ رأسه فبقي على فكّ واحد ولسان ، ثمّ عمد إلى صاحب الراية العظمى فضربه ضربة على جمجمته فقلقها ، ومرّ السيف يهوي في جسده فبراه ودابّته بنصفين ، ولمّا أن نظر القوم إلى ذلك انجفلوا من بين يديه ، فجعل يمسحهم بسيفه مسحاً حتّى تركهم جراثيم جموداً على تلعة من الأرض يتمرّغون في حسرات المنايا ، يتجرّعون كؤوس الموت، قد اختطف أرواحهم بسيفه ، ونحن نتوقّع منه أكثر من ذلك ، ولم نكن نضبط من أنفسنا من مخافته حتّى ابتدأت منك إليه التفاتة ، وكان منه إليك ما تعلم ، ولولا أنّه نزلت آية من كتاب الله لكنّا من الهالكين ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾[2] ؛ فاترك هذا الرّجل ما تركك ، ولا يغرّنك قول خالد أنّه يقتله ، فإنّه لا يجسر على ذلك ، ولو رام لكان أوّل مقتول بيده ، فإنّه من ولد عبد مناف ، إذا هاجوا هيبوا ، وإذا غضبوا أدموا ، ولاسيّما عليّ بن أبي طالب عليه السلام نابها الأكبر ، وسنامها الأطول ، وهامتها الأعظم ، والسّلام على من اتّبع الهدى .

---

(١) في بعض النسخ «يتهضّمه كتهضّم».

(٢) آل عمران ١٥٢.

almawaddah.be